7 فصل فيما جاء في الرؤيا

عن زفر بن صعصعة، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول اللَّه ﷺ: كان إذا انصرف من صلاة الغداة يقول: «هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا؟» ويقول: «إنه ليس يبقى بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة»[1]، وأخرجه النسائي من حديث زفر بن صعصعة عن أبي هريرة، من غير ذكر صعصعة[2]، والمحفوظ من حديث الإمام مالك بن أنس: إثبات صعصعة في إسناده.

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث الزهري: حدثني سعيد بن المسيب: أن أبا هريرة قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات». قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة»[3]. وأخرجه مسلم من حديث ابن عباس[4][5].

فصل

في أن الرؤيا الصالحة من بشرى المؤمن

سئل ﷺ عن قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [يونس: 64] فقال ﷺ: «هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له»[6][7].

---

(1) أبو داود (5017)، في الأدب، باب: ما جاء في الرؤيا.

(2) النسائي في الكبرى (7621)، في التعبير، باب الرؤيا.

(3) البخاري (6990)، في التعبير، باب: المبشرات.

(4) مسلم (479/ 207)، في الصلاة، باب: النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود.

(5) تهذيب السنن (7/ 295).

(6) الترمذي (2275)، في الرؤيا، باب: قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وابن ماجه (3898)، في تعبير الرؤيا، باب: الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له.

(7) إعلام الموقعين (4/ 345).

وأيضاً

سئل ﷺ عن قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: 64] فقال: «هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له». ذكره أحمد[1][2].

فصل

في أن الرؤيا الصادقة جزء من أجزاء النبوة

المرتبة العاشرة من مراتب الهداية: الرؤيا الصادقة. وهي من أجزاء النبوة كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»[3].

وقد قيل في سبب هذا التخصيص المذكور: إن أول مبتدأ الوحي كان هو الرؤيا الصادقة، وذلك نصف سنة. ثم انتقل إلى الوحي اليقظة مدة ثلاث وعشرين سنة، من حين بعث إلى أن توفي ـ صلوات الله وسلامه عليه. فنسبة مدة الوحي في المنام من ذلك: جزء من سبعين جزءاً»[4].

وقد قيل في الجمع بينهما: إن ذلك بحسب حال الرائي، فإن رؤيا الصديقين من ستة وأربعين، ورؤيا عموم المؤمنين الصادقة من سبعين، والله أعلم.

والرؤيا: مبدأ الوحي، وصدقها بحسب صدق الرائي، وأصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثاً، وهي عند اقتراب الزمان لا تكاد تخطئ، كما قال النبي ﷺ[5]. وذلك لبعد العهد بالنبوة وآثارها، فيتعوض المؤمنون بالرؤيا. وأما في زمن قوة نور النبوة: ففي ظهور نورها وقوته ما يغنى عن الرؤيا.

ونظير هذا الكرامات التي ظهرت بعد عصر الصحابة، ولم تظهر عليهم، لاستغنائهم

---

(1) أحمد (5/ 315).

(2) إعلام الموقعين (4/ 505).

(3) البخاري (6983)، في التعبير، باب: رؤيا الصالحين، وابن ماجه (3893)، في تعبير الرؤيا، باب: الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، وأحمد (3/ 126).

(4) ابن ماجه (3895)، في تعبير الرؤيا، باب: الرؤيا الصالحة، ومسلم (2263/ 6)، في أوّل الرؤيا.

(5) البخاري (7017)، في التعبير، باب: القيد في المنام، ومسلم (2263/ 6)، في أو ل الرؤيا.

عنها بقوة إيمانهم، واحتياج من بعدهم إليها لضعف إيمانهم. وقد نص أحمد على هذا المعنى. وقال عبادة بن الصامت: رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده في المنام. وقد قال النبي ﷺ: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات». قيل: وما المبشرات، يا رسول اللَّه؟ قال: الرؤيا الصالحة، يراها المؤمن أو ترى له»[1]. وإذا تواطأت رؤيا المسلمين لم تكذب. وقد قال النبي ﷺ ـ لمَّا أُروا ليلة القدر في العشر الأواخر قال: «أرى رؤياكم قد تواطأت في العشر الأواخر، فمن كان منكم متحريها فليتحرها في العشر الأواخر من رمضان»[2].

والرؤيا كالكشف، منها رحماني. ومنها نفساني. ومنها شيطاني. وقال النبي ﷺ: «الرؤيا ثلاثة: رؤيا من اللَّه، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث به الرجل نفسه في اليقظة، فيراه في المنام»[3].

والذي هو من أسباب الهداية: هو الرؤيا التي من اللَّه خاصة.

ورؤيا الأنبياء وحي، فإنها معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة؛ ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام بالرؤيا.

وأما رؤيا غيرهم: فتعرض على الوحي الصريح، فإن وافقته وإلا لم يعمل بها.

فإن قيل: فما تقولون إذا كانت رؤيا صادقة، أو تواطأت؟

قلنا: متى كانت كذلك استحال مخالفتها للوحي، بل لا تكون إلا مطابقة له، منبهة عليه، أو منبهة على اندراج قضية خاصة في حكمه، لم يعرف الرائي اندراجها فيه، فيتنبه بالرؤيا على ذلك. ومن أراد أن تصدق رؤياه فليتحر الصدق وأكل الحلال، والمحافظة على الأمر والنهي، ولينم على طهارة كاملة مستقبل القبلة، ويذكر اللَّه حتى تغلبه عينه، فإن رؤياه لا تكاد تكذب البتة.

---

(1) سبق تخريجه بالصفحة السابقة.

(2) البخاري (1158)، في التهجد، باب: فضل من تعار من الليل فصلى، ومسلم (1165/ 207)، في الصيام، باب: فضل ليلة القدر... إلخ، وأحمد (2/ 8).

(3) مسلم (2263/ 6)، في أول الرؤيا، والترمذي (2270)، في الرؤيا، باب: أن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وأبو داود (5019)، في الأدب، باب: ما جاء في الرؤيا، وأحمد (2/ 269).

وأصدق الرؤيا: رؤيا الأسحار، فإنه وقت النزول الإلهي، واقتراب الرحمة والمغفرة، وسكون الشياطين. وعكسه رؤيا العتمة، عند انتشار الشياطين والأرواح الشيطانية. وقال عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه: «رؤيا المؤمن كلام، يكلم به الربُّ عبدَه في المنام».

وللرؤيا ملك موكَّل به، يريها العبد في أمثال تناسبه وتشاكله، فيضربها لكل أحد بحسبه. وقال مالك: «الرؤيا من الوحي وحي» وزجر عن تفسيرها بلا علم. وقال: «أتتلاعب بوحي اللَّه؟».

ولذكر الرؤيا وأحكامها وتفاصيلها وطرق تأويلها مظانٍ مخصوصة بها، يخرجنا ذكرها عن المقصود، واللَّه أعلم[1].

فصل

في أصول وقواعد لعلم تعبير الرؤيا

إنها[2] مبنية على القياس والتمثيل واعتبار المعقول بالمحسوس ألا ترى أن الثياب في التأويل كالقمص تدل على الدين، فما كان فيها من طول أو قصر أو نظافة أو دنس، فهو في الدين، كما أول النبي ﷺ القميص بالدين والعلم[3]، والقدر المشترك بينهما أن كلا منهما يستر صاحبه ويجمله بين الناس، فالقميص يستر بدنه والعلم والدين يستر روحه وقلبه ويجمله بين الناس، ومن هذا تأويل اللبن بالفطرة لما في كل منهما من التغذية الموجبة للحياة وكمال النشأة، وأن الطفل إذا خلى وفطرته لم يعدل عن اللبن فهو مفطور على إيثاره على ما سواه. وكذلك فطرة الإسلام التي فطر اللَّه عليها الناس.

ومن هذا: تأويل البقر بأهل الدين والخير الذين بهم عمارة الأرض، كما أن البقر كذلك مع عدم شرها وكثرة خيرها وحاجة الأرض وأهلها إليها، ولهذا لما رأى النبي ﷺ بقراً تنحر[4] كان ذلك نحراً في أصحابه.

---

(1) مدارج السالكين (1/ 50 ـ 52).

(2) أي الرؤيا.

(3) البخاري (7008)، في التعبير، باب: القميص في المنام.

(4) البخاري (7035)، في التعبير، باب: إذا رأى بقراً تنحر.

ومن ذلك تأويل الزرع والحرث بالعمل؛ لأن العامل زارع للخير والشر، ولا بد أن يخرج له ما بذره كما يخرج للباذر زرع ما بذره، فالدنيا مزرعة والأعمال: البذر، ويوم القيامة يوم طلوع الزرع وحصاده.

ومن ذلك تأويل الخشب المقطوع المتساند بالمنافقين، والجامع بينهما أن المنافق لا روح فيه، ولا ظل ولا ثمر، فهو بمنزلة الخشب الذي هو كذلك؛ ولذا شبه اللَّه ـ تعالى ـ المنافقين بالخشب المسندة؛ لأنهم أجسام خالية عن الإيمان والخير، وفي كونها مسندة نكتة أخرى، وهي أن الخشب إذا انتفع به جعل في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع، وما دام متروكاً فارغاً غير منتفع به، جعل مسنداً بعضه إلى بعض، فشبه المنافقين بالخشب في الحالة التي لا ينتفع فيها بها.

ومن ذلك: تأويل النار بالفتنة لإفساد كل منهما ما يمر عليه، ويتصل به، فهذه تحرق الأثاث والمتاع والأبدان، وهذه تحرق القلوب والأديان والإيمان.

ومن ذلك تأويل النجوم بالعلماء والأشراف؛ لحصول هداية أهل الأرض بكل منهما، ولارتفاع الأشراف بين الناس كارتفاع النجوم.

ومن ذلك: تأويل الغيث بالرحمة والعلم والقرآن والحكمة وصلاح حال الناس.

ومن ذلك خروج الدم في التأويل يدل على خروج المال، والقدر المشترك أن قوام البدن بكل واحد منهما.

ومن ذلك الحدث في التأويل يدل على الحدث في الدين، فالحدث الأصغر ذنب صغير، والأكبر ذنب كبير.

ومن ذلك أن اليهودية والنصرانية في التأويل بدعة في الدين، فاليهودية تدل على فساد القصد، واتباع غير الحق، والنصرانية تدل على فساد العلم والجهل والضلال.

ومن ذلك الحديد في التأويل وأنواع السلاح دل على القوة والنصر بحسب جوهر ذلك السلاح ومرتبته.

من ذلك الرائحة الطيبة تدل على الثناء الحسن، وطيب القول والعمل، والرائحة الخبيثة بالعكس، والميزان يدل على العدل، والجراد يدل على الجنود والعساكر، والغوغاء الذين يموج بعضهم في بعض، والنحل: يدل على من يأكل طيباً ويعمل صالحاً، والديك رجل عالي الهمة بعيد الصيت، والحية: عدو أو صاحب بدعة يهلك بسمه، والحشرات:

أوغاد الناس، والخلد رجل أعمى يتكفف الناس بالسؤال، والذئب: رجل غشوم ظلوم غادر فاجر، والثعلب رجل غادر مكار محتال مراوغ عن الحق، والكلب: عدو ضعيف كثير الصخب والشر في كلامه وسبابه، أو رجل مبتدع متبع هواه مؤثر له على دينه، والسنور: العبد والخادم الذي يطوف على أهل الدار، والفأرة: امرأة سوء فاسقة فاجرة، والأسد: رجل قاهر مسلط، والكبش: الرجل المنيع المتبوع.

ومن كليات التعبير: أن كل ما كان وعاء للماء، فهو دال على الأثاث، وكل ما كان وعاء للمال كالصندوق والكيس والجراب، فهو دال على القلب، وكل مدخول بعضه في بعض وممتزج ومختلط فدال على الاشتراك والتعاون أو النكاح، وكل سقوط وخرور من علو إلى أسفل فمذموم، وكل صعود وارتفاع فمحمود إذا لم يجاوز العادة، وكان ممن يليق به، وكل ما أحرقته النار فجائحة، وليس يرجى صلاحه ولا حياته، وكذلك ما انكسر من الأوعية التي لا ينشعب مثلها، وكل ما خطف وسرق من حيث لا يرى خاطفه ولا سارقه، فإنه ضائع لا يرجى، وما عرف خاطفه أو سارقه أو مكانه أو لم يغب عن عين صاحبه، فإنه يرجى عوده.

وكل زيادة محمودة في الجسم والقامة واللسان والذكر واللحية واليد والرجل، فزيادة خير وكل زيادة متجاوزة للحد في ذلك فمذمومة وشر وفضيحة. وكل ما رُئي من اللباس في غير موضعه المختص به فمكروه كالعمامة في الرجل، والخف في الرأس، والعقد في الساق، وكل من استقضى أو استخلف أو أمر أو استوزر أو خطب ممن لا يليق به ذلك نال بلاء من الدنيا وشراً، وفضيحة، وشهوة، وشهرة قبيحة.

وكل ما كان مكروه من الملابس فخلقه أهون على لابسه من جديده، والجوز: مال مكنوز، فإن تفقع كان قبيحاً وشراً، ومن صار له ريش أو جناح صار له مال، فإن طار سافر، وخروج المريض من داره ساكتاً يدل على موته، ومتكلماً يدل على حياته، والخروج من الأبواب الضيقة يدل على النجاة، والسلامة من شر وضيق هو فيه، وعلى توبة، ولا سيما إن كان الخروج إلى فضاء وسعة فهو خير محض، والسفر والنقلة من مكان إلى مكان انتقال من حال إلى حال بحسب حال المكانين.

ومن عاد في المنام إلى حال كان فيها في اليقظة عاد إليه ما فارقه من خير أو شر، وموت الرجل ربما دل على توبته ورجوعه إلى اللَّه؛ لأن الموت رجوع إلى اللَّه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾[الأنعام: 62] والمرهون مأسور بدين أو بحق عليه للَّه

أو لعبيده، ووداع المريض أهله أو توديعهم له دال على موته.

وبالجملة، فما تقدم من أمثال القرآن كلها أصول وقواعد العلم لتعبير لمن أحسن الاستدلال بها، وكذلك من فهم القرآن، فإنه يعبر به الرؤيا أحسن تعبير، وأصول التعبير الصحيحة إنما أخذت من مشكاة القرآن، فالسفينة: تعبر بالنجاة لقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت: 15]، وتعبر بالتجارة، والخشب بالمنافقين، والحجارة بقساوة القلب، والبيض بالنساء، واللباس أيضاً بهن، وشرب الماء بالفتنة، وأكل لحم الرجل بغيبته، والمفاتيح بالكسب والخزائن والأموال والفتح يعبر مرة بالدعاء ومرة بالنصر. وكالملك يرى في محلة لا عادة له بدخولها يعبر بإذلال أهلها وفسادها، والحبل يعبر بالعهد والحق والعضد. والنعاس قد يعبر بالأمن، والبقل والبصل والثوم والعدس يعبر لمن أخذه بأنه قد استبدل شيئاً أدنى بما هو خير منه من مال أو رزق أو علم أو زوجة أو دار. والمرض يعبر بالنفاق والشك وشهوة الزنا.

والطفل الرضيع يعبر بالعدو؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: 8]. والنكاح بالبناء. والرماد بالعمل الباطل لقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ [إبراهيم: 18] والنور يعبر بالهدى. والظلمة بالضلال، ومن هاهنا قال عمر بن الخطاب لحابس بن سعد الطائي وقد ولاه القضاء، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن رأيت الشمس والقمر يقتتلان، والنجوم بينهما نصفين، فقال عمر: مع أيهما كنت؟ فقال: مع القمر على الشمس، قال: كنت مع الآية الممحوة، اذهب فلست تعمل لي عملاً، ولا تقتل إلا في لبس من الأمر، فقتل يوم صفين.

وقيل لعابر: رأيت الشمس والقمر دخلا في جوفي، فقال: تموت، واحتج بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾ [القيامة: 7 ـ 10]. وقال رجل لابن سيرين: رأيت معي أربعة أرغفة خبز، فطلعت الشمس، فقال: تموت إلى أربعة أيام، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الفرقان: 45، 46] وأخذ هذا التأويل أنه حمل رزق أربعة أيام، وقال له آخر: رأيت كيسي مملوءاً أرضة، فقال: أنت ميت، ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: 14].

والنخلة: تدل على الرجل المسلم وعلى الكلمة الطيبة. والحنظلة: تدل على ضد ذلك. والصم: يدل على العبد السوء الذي لا ينفع. والبستان: يدل على العمل، واحتراقه:

يدل على حبوطه لما تقدم في أمثال القرآن، ومن رأى أنه ينقض غزلاً أو ثوباً ليعيده مرة ثانية، فإنه ينقض عهداً، وينكثه. والمشي سوياً في طريق مستقيم يدل على استقامته على الصراط المستقيم. والأخذ في بنيات الطريق يدل على عدوله عنه إلى ما خالفه، وإذا عرضت له طريقان ذات يمين وذات شمال، فسلك أحدهما، فإنه من أهلها، وظهور عورة الإنسان له ذنب يرتكبه ويفتضح به، وهروبه وفراره من شيء نجاة وظفر. وغرقه في الماء: فتنة في دينه ودنياه. وتعلقه بحبل بين السماء والأرض: تمسكه بكتاب اللَّه وعهده واعتصامه بحبله، فإن انقطع به فارق العصمة إلا أن يكون ولى أمراً، فإنه قد يقتل أو يموت.

فالرؤيا أمثال مضروبة، يضربها الملك الذي قد وكله اللَّه بالرؤيا ليستدل الرائي بما ضرب له من المثل على نظيره، ويعبر منه إلى شبهه؛ ولهذا سمي تأويلها: تعبيراً، وهو تفعيل من العبور، كما أن الاتعاظ يسمى اعتباراً وعبرة لعبور المتعظ من النظير إلى نظيره، ولولا أن حكم الشيء حكم مثله، وحكم النظير حكم نظيره لبطل هذا التعبير والاعتبار، ولما وجد إليه سبيل[1].

فصل

في رؤية النبي ﷺ في المنام

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، أو لكأنما رآني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي». وأخرجه البخاري ومسلم[2].

ولم يشك البخاري فيه، بل قال: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي».

وفي الصحيحين من حديث أبي قتادة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من رآني في المنام فقد رأى الحق»[3].

---

(1) إعلام الموقعين (1/ 207 ـ 212).

(2) البخاري (6993)، في التعبير، باب: من رأى النبي ﷺ في المنام.

(3) البخاري (6996)، في الكتاب والباب السابقين، ومسلم (2267/ 11)، في الرؤيا، باب: قول النبي ﷺ من رآني في المنام فقد رآني.

وأخرجه البخاري من حديث أبي سعيد، وزاد: «فإن الشيطان لا يتكونني»[1]. وفي لفظ له من حديث أبي قتادة: «فإن الشيطان لا يتراءى بي»[2].

وفي صحيح مسلم عن جابر عن النبي ﷺ: «من رآني في النوم فقد رآني، فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتي»[3].

وفي لفظ آخر: «فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي»[4][5].

❀ ❀ ❀

(1) البخاري (6997)، في الكتاب والباب السابقين.
(2) البخاري (6995)، في الكتاب والباب السابقين.
(3) مسلم (2268/ 12)، في الرؤيا، باب: قول النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني».
(4) مسلم (2268/ 13)، في الكتاب والباب السابقين.
(5) تهذيب السنن (7/ 301).

obeikandl.com